لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والافعال
وتبرئته من القبايح وثناء فضله على غيره من الاذكار وقيل وصف
العبد بالنزاهة من ادناس المعاصي والطهر من ارجاس المآثم على ساير
اوصافه من كثرة الصلاة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال
على العلوم والاشتهار بالفضايل ويجوز ان يريد بالذكر واكثاره تكثير
الطاعات والاقبال على العبادات فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر
ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلاة في جميع اوقاتها لفضل
الصلاة على غيرها او صلاة الفجر والعشايين لان اداها اشق ومراعاتها
اشد ولما كان من شان المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن
ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعايد المريض في انعطافه عليه
والمراة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف
ومنه قولهم صلى الله عليك اي ترحم عليك وترؤف فان قلت
قوله هو الذي يصلي عليكم ان فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع
بقوله وملايكته وما معنى صلاتهم قلت هي قولهم اللهم صل على
المومنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كانهم فاعلوا الرحمة والرافة
ونظيره قولك حياك الله اي احياك وابقاك وحييتك اي دعوت لك
بان يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة
وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى
ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه
اي ادعوا الله ان يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف
حيث يدعوكم الى الخير ويامركم باكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة
ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وكان بالمومنين رحيما دليل
على ان المراد بالصلاة الرحمة ويروى انه لما نزل قوله ان الله وملايكته

يصلون

يصلون على النبي قال ابو بكر رضي الله عنه ما خصك الله يا رسول الله
بشرف الا وقد شركنا فيه فنزلت تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول
اي يحيون يوم لقايه بسلام فيجوز ان يعظمهم الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل
بهم ساير انواع التعظيم وان يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام
ملك الموت والملايكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملايكة
عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملايكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم والاجر الكريم الجنة شاهدا على من بعث
اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم
كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم فان قلت وكيف كان شاهدا
وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة او عند ادايها
قلت هي حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صايدا
به غدا اي مقدرا به الصيد غدا فان قلت قد فهم من قوله
انا ارسلناك داعيا انه ماذون له في الدعا فما فايدة قوله باذنه قلت
لم يرد حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير
لان الدخول في حق المالك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر
فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك
ان دعا اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرايع امر في غاية
الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتاتى
ولا يستطاع الا اذا سهله الله تعالى ويسره ومنه قولهم في الشحيح
انه غير ماذون له في الانفاق اي غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا
عليه داخلا في حد التعذر جلى به ظلمات الشرك واهتدى به
الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به او امد بنور
نبوته نور البصاير كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة